الثورة

> عندما تتوقف لدقائق في إحدى شوارع مدينة تعز لا تشعر أنك في حضرة مدينة لها من التاريخ ما يكفي للدراسة، والتأويل، ولا تشعر أنك في حضرة مدينة تجمع بين البساطة والثورة، ولا تشعر أيضا أنك واقف على بقعة تحوي أكبر عدد سكاني في الجمهورية اليمنية.. باختصار أنت في مدينة بعض الأمور فيها لا تسر.. المكان بحاجة للترميم وإعادة الحياة في مفاصله، المدينة تعاني كثيراً طالما أن هناك من يرى أن إعادة الحياة في شرايينها يعني الثورة.. يعني الانتفاض على ما هو مخالف لمنطق الحياة الكريمة، وما هو مخالف للتفكير العقلاني الذي يرتقي بالنفس إلى المكارم المحمودة.

استطلاع/عبدالناصر الهلالي

تعز.. مدينة تقاوم النسيان!

المخلفات تحرق في الأحياء السكنية والناس لا يهتمون بنظافة المدينة

أنت واقف يعني أنت في حضرة حب يعاني من الألم.. في حضرة شارع يعاني من الإهمال.. في حضرة حي تتكدس فيه المخلفات بمختلف أنواعها.

عشرة أيام قضيتها في تعز المدينة، وهي المرة الأولى بعد خمسة عشر عاماً من تركها بحضرة مدن عدة، كل عام أعبر شارعاً وحيداً يوصلني إلى القرية، دون أن أبقى في المدينة لدقائق .. مرة واحدة ربما في العام ٢٠١١ م، وبالصدفة كنت بصحبة ولدي جمال عبدالناصر في شارع ٢٦ سبتمبر، عندما مرت مظاهرة منددة بالاعتداءات من قبل القوات النظامية على الحصب.. المرة الوحيدة التي هتفت فيها في مظاهرة كتلك .. حينها كانت المخلفات تحيط بالشارع من كل اتجاه.. كانت الحياة في الشارع هتافاً .. ودخاناً يملأ سماء المدينة جراء حرق المخلفات التي كانت تملأ شوارع عدة إلى جانب الشارع الذي عبرنا فيه بصوت واحد: الشعب يريد إسقاط النظام، كان العقاب حينها يشتد على المدينة ابتداء بحرق المخلفات في كل الأحياء والشوارع، ولا فرق بين مخلفات منزلية وطبية وصناعية كل المخلفات تحرق بداخل البراميل وخارجها وعلى أرصفة الشوارع، وأمام المساكن.

الدكتور محمد المخلافي مدير عام إدارة المنشآت الخاصة بمكتب الصحة في تعز يقول: كانت المخلفات تحرق في كل مكان.. تحولت تعز إلى مقلب للمخلفات.

ويضيف: كانت المخلفات تملأ الأحياء والشوارع حتى المخلفات الطبية رغم ما تحمله من مخاطر صحية على السكان أثناء الحرق، إلا أنها ظلت تحترق لأسابيع، المخاطر الصحية كانت ولا زالت تحيط بالمدينة من كل اتجاه.. لا شيء يمنع المخاطر الصحية.. لا شيء يحول دون انتشار الوباء.. يا الله.. في أي مدينة يعيش الناس وفي أي واقع يغوصون.

قبل شهر من الآن كنت هناك .. في تعز المدينة التي يسكن فيها بحسب آخر تعداد سكاني في ٢٠٠٤ م مليون مواطن وبزيادة سنوية ٣٪ حسب كتاب الإحصاء للعام ٢٠١٠ م .. وفي الأسبوع الأول الذي بدأت فيه حملة شارك.. لا عجب أن الحملة تلك التي بدأت بالنظافة واصلت مشوار حرق المخلفات في الشوارع العامة.. في شارع المطار.. وفي بير باشا كان العاملون بالحملة وفي أول يوم لانطلاقها أحرقت المخلفات في الشوارع وكان الدخان يملأ المكان.. مسلسل الحرق مستمر في تعز حتى مع انطلاق حملات نظافة كتلك.. في اليوم الثالث من انطلاق الحملة على اعتبار أن

■ الشوارع لا تزال على حالها والمعوقات تقف دون النهوض بها

■ جثث متعفنة في ثلاجات الموت، والمستشفيات لا إمكانيات.

الحملة تستهدف في كل يوم مديرية ولن تعود إليها مرة أخرى.. ذهبت إلى الشوارع الداخلية والأزقة التي استهدفتها الحملة.. هناك فقط تدرك أن حملة شارك كانت مجرد صور تلتقط لإبراز الجانب الايجابي .. الجوانب السلبية تختبئ هناك .. في الأزقة والأحياء السكنية، والشوارع الداخلية.. التقطت عشرات الصور لذلك البؤس المتخفي بصورة العمل خارج منظومة الاخلاص.. في بير باشا .. توجد منازل لم يكتمل البناء فيها خصصت لحرق المخلفات .. تساءلت عن أصحاب تلك المنازل فأخبرني أحد من الحي ذاته أن أحداً لا يعترض على ذلك، وأن أحداً لا يأتي مدعياً أن تلك المنازل تبعاً لهم، غالباً أصحاب منازل كتلك يكونون في الأرياف ولا يتفقدون منازلهم كما تفعل السلطة المحلية والمكاتب الخدمية ذاتها .. كلهم على ما يبدو لا ينزلون إلى تلك الأماكن لتفقد أحوال الناس وقياس الأمراض المتفشية بين السكان، ولا حتى معرفة مستوى النظافة على الأقل.

في هذا الاستطلاع صور لحرق المخلفات في اليوم الأول لحملة شارك.

قلت في نفس في ذلك اليوم تعز ستبدو كعروس في ليلة الزفاف خاب ظني وخاب ما حدثت به نفسي .. في اليوم الثاني من انطلاق الحملة تعمدت الخروج في السادسة صباحاً .. لأرى مدينة نظيفة .. مدينة لم يعد فيها ما يعكر المزاج.. فكانت المفاجأة في شارع جمال والتحرير أن المدينة على حالها بكل ما تحمله من معانٍ المخلفات التي كانت في الماضي ولا زالت حتى اليوم.. ماذا يجري في تعز المدينة؟

كل شيء .. الكذب والعبث بمقدرات المدينة ملايين أهدرت في تلك الحملة، والنتيجة .. لا شيء تغير.. المخلفات كما هي.. الشوارع مكسرة وكأنك تعيش في مدينة ثانوية وليس في مدينة رئيسية كتعز، في مستشفى الثورة عندما كنت أجري مقابلات بخصوص تنفيذ تحقيق .. قابلت مدير الخدمات في المستشفى محمد سلطان، أصر سلطان على اصطحابي إلى ثلاجة الموتى. وقال: «تعال لكي ترى بنفسك جثث الموتى المنتفخة بسبب عدم وجود ثلاجة تعمل».

ويضيف» الثلاجة لم تعد تعمل بالشكل المطلوب ما يؤدي إلى تعفن الجثث.

على مضض قبلت الدخول إلى الثلاجة.. في الباب كان الناس يتهيأون لإخراج إحدى الجثث المتعفنة، لم أستطع تصويرها.. غير أني التقطت صورة عامة للثلاجة وخرجت لتوي خائفاً من هول ما رأيت.

الثلاجات في مستشفيات تعز كلها في ذلك الحال، لا شيء يبدو في المدينة أنه متعافٍ.. كما قلت في البداية.. المدينة تحتضر بكل ما تنطق به، وما تخفيه بين جناحيها.

لا تستطيع الطيران حتى اللحظة.. كلمات ما بعد التعيين أن تعز ربما تكون دمى، أو أنها ستكون كذلك مجرد كلام يشوبه الكثير من الهراء، والكثير من الشطط والكثير... الكثير من الضياع.

مدينة تعز ليست بحاجة إلى المزيد من الكلام شأنها شأن البلد بكاملها.. وقت الكلام ولى.. الأصل في هذا كله هو العمل لا شيء غير ذلك ممكن أن يتقبله الناس.

الناس في مدينة كتعز لا يريدون بيعاً للكلام في سوق النخاسة، أو في سوق الضباب.. الناس يريدون مدينة نظيفة .. مدينة تضج بالحياة والأمل.